كامل كيلاني

قصص هندية

الوزير السجين

الطبعة الرابعة عشرة

دار المعارف

رقم الإيداع	١٩٩٧/١٣٤٩٣
الترقيم الدولي ISBN	٩٧٧-٠٢-٥٥١٦-٥

٧/٩٧/١٠١

طبع بمطابع دار المعارف "ج. م. ع "

الناشر: دار المعارف- ١١١٩ كورنيش النيل- القاهرة ج. م. ع.

الفصل الأول

١- السلطان الهندي

عاش – في قديم الزمان– سلطان هندي، قوي البأس، غليظ القلب. وكان يخضع لهذا الظالم الطاغية جماعية من الولاة، يحكمون كثيرا من مدن الهند وبلادها الزاخرة " المملوءة" بالألوف من الآهلين. وكانوا لا يستطيعون أن يخالفوا له قولا، أو يعصوا له أمرا.

وكان كلما رأي تلك الطاعة العمياء، أضله الاستبداد، فأسرف في ظلمه. وتمادي به الزمن علي ذلك، فخيل غليه أنه منزه عن الخطأ، وأن ما يجوز علي غيره – من الوهم والنسيان والغلط– لا يجوز عليه.

٢- الوزير العادل

ولو كان الأمر موكولا لإلي ذلك المستبد الطاغية، لزلزل حكمه، واضطراب أمره – في وقت قصير– لأن العدل أساس الملك، والبغي مرتعه وخيم.

علي أن هذا السلطان الظالم كان له وزير عادل يثق به؛ يسمي "سيلا". وقد كان هذا – إلي عدله– رحيما، بصيرا بعواقب الأمور،أصيل الرأي، حسن التدبير، لا يفكر إلا في إسعاد ببراعته وكياسته، ويمنع طغيانه بذكائه ولطف حيلته.

٣- إخلاص الوزير

وقد عرف السلطان فضل وزيره، ورأي سداد تدبيره، أصالة رأيه، في حل مشكلات الدولة، فأحبه حبا شديدا، ومنحته ثقته، فلم يخالف له مشورة، ولم ينقض له رأيا. ووهبه الجزيل من العطايا، والنفيس من الهدايا.

أما الشعب فقد أحل الوزير– من نفسه– أسمي مكانة، وقدر إخلاصه وعدله وكرم خلقه أجمل تقدير.

٤- نصيحة "سيلا"

وفي أواخر أيام ذلك السلطان، اختبل عقلة، اشتد طغيانه. وضجر به الوزير، فلم يستطع البقاء معه، لما رآه من سوء تصرفه، وشدة عسفه وأدرك الوزير – بثاقب فكره، ونافذ بصيرته– أن القوانين الجديدة الظالمة التي أمره السلطان بتنفيذها، غير محمودة العواقب. فاضطر إلي تبصير مولاه بما تجره عليه من الأذية وسوء المصير.

٥- غضب الطاغية.

ولم يكد الوزير يكاشف سيده بنصيحته الصادقة، حتى ثار ثائره، وتوعده بالويل، إذا قصر في تنفيذ مشيئته، ثم ختم وعيده قائلا:

" لابد أن تنفذ مشيئتي، وتطيعني طاعة عمياء، وإلا عرضت نفسك لبطشي وانتقامي."

وعرف الوزير صدق وعيد مولاه.وأيقن أنه لن يتردد في البطش به، متى وقف في سبيل طغيانه، وكبح هواه الجامح، ولكنه عرف –إلي ذلك –أنه سيقضي حياته كلها– إذا شارك سيده في جوره– مضطرب البال، وأن ضميره سيؤنبه علي ذلك طول عمره، فأثر الموت "اختاره" علي تعذيب الضمير.

٦– الإنذار الأخير

واشتد غضب السلطان وهياجه– من عناد وزيره– فنادي حراسه، فلبوا نداءه مسرعين. ثم التفت إلي وزيره متوعدا، وأنذره قائلا:

" الآن أدع لك أخر فرصة قبل أن أبطش بك.

فإذا أفلتت منك هذه الفرصة، فلن تظفر بمثلها آبدا؛ لأن الموت ينتظرك متى أصررت علي عنادك.

فخبرني الآن: هل قبلت تنفيذ مشيئتي؟"

فهز الوزير "سيلا" رأسه رافضا أمر مولاه، في ثبات وإصرار. فصاح السلطان –في حراسه– قائلا:

" هلموا، فاقبضوا علي هذا الأثيم، واسجنوه في أعلي برج الهلاك، حيث يقضي بقية أيامه معرضا لحرارة الشمس الحامية– دون طعام أو ماء – حتى يهلك جوعا وعطشا، جزاء له علي عناده."

٧- حيرة الحرس

وتحير الحراس في أمرهم، فلم يدروا ما يصنعون. واقتربوا من الوزير العظيم متباطئين مترددين. فقد عرفوا مكانه الخطير، ولم ينسوا أنه أصدر الأحكام- عدة سنين – باسم السلطان، وانه أكبر رجل –بعده- في المدينة. وكذلك عرفوا له عدله في الرعية، ورحمته بالضعفاء والمذنبين. فلم يجرؤ أحد منهم علي مسه بيده.

ولكن الوزير أنقذهم من حيرتهم وارتباكهم، وسري عن نفوسهم المكتئبة " المحزونة"، حين قال لهم هادئا:

" لا تخافوا ولا تنزعجوا،أيها الأمناء الكرام، ولا يقلق بالكم. فإنني لن أحوجكم إلي القبض علي. وهاأنذا أتقدمكم إلي برج الهلاك، تنفيذا لإرادة مولانا السلطان."

***

ثم خرج الوزير من حجرة السلطان، وقد اكتنفه الحراس "أحاطوا به". ومازال سائر أمامهم في هدوء واطمئنان، وهو مرفوع الرأس، موفور الكرامة، وقد امتلاء قلبه رضا، بعد أن أدي واجبه أحسن أداء.

الفصل الثاني

١- شجاعة "سيلا"

كان الوزير "سيلا" عالما بما هو قادم عليه من الشقاء في برج الهلاك. ولم يكن يجهل أن جميع من سجنوا –في هذا البرج– ماتوا ولم ينج منهم احد.وأيقن الوزير بقرب أجله، ودنو أخرته. وعرف انه لن يخرج منه إلا ميتا، أو يدفن فيه حيا. ولكنه –مع ذلك– لم يظهر شيئا من الجزع، بل اعتصم بالصبر، وأسلم آمره لله.

٢- زوجة الوزير

وقد فكر الوزير طويلا فيما هو مقبل عليه من الهول، ثم هداه ذكاؤه إلي حيلة بارعة، تنقذه – إذا نجحت– مما تعرض له من المخاوف، واستهدف له من المخاطر، في ذلك البرج المشئوم. ولم يكن له من صديق يثق به، ويعتمد عليه، في إنقاذ خطته البارعة، غير زوجته.

وقد تطوع أحد الحراس بإخبارها بكل ما حدث. فلما جن الليل، وخيم الظلام. خرجت زوجة الوزير، حتى بلغت سور البرج.

٣- حوار الزوجين

ولما لمحها "سيلا" حياها، فردت عليه تحيتـه، وسألته محزونة، في صوت منخفض: " أليس في قدرتي أن أقوم بشيء ينفعك؟"

فقال لها في همس وخفوت: " بلي " نعم " تستطيعين أن تسدي " تقدمي" إلي نفعا جزيلا. ولكني أوصيك بالصبر والثقة بالله، لينجح سعينا، ويتم فوزنا. وحذار أن يتسرب اليأس إلي قلبك، فإن اليأس طريق الخذلان، والصبر مفتاح الفرج."

٤- أدوات النجاة

فقال له في صوت هامس:

"مرني بما تشاء، فإني سامعة ملبية".

فقال "سيلا":

"أسرعي بالعودة إلي بيتك، ثم أحضري ما يأتي:

أولا: خنفساء كبيرة.

ثانيا: ستين مترا من الخيط الحريري الدقيق، الذي لا يزيد فتله علي خيوط العنكبوت.

ثالثا: ستين مترا من خيط القطن الدقيق القوي النسج.

رابعا: ستين مترا من الخيط الغليظ الفتل.

خامسا: حبلا غليظا من امتن الحبال وأقواها، ليحمل ثقة جسمي كله، دون أن ينقطع.

سادسا: نقطة من الشهد " عسل النحل"، وهي أخر ما أطلبه منك، ولكنه لا يقل خطرا عما ذكرته لك."

٥- ختام الحديث

أرهفت زوجة الوزير أذنيها، وأصغت إلي حديثه إصغاء. فلما أتمه، أعادت عليه نص حديثه- كلمة كلمة- ليتأكد لها ما سمعته منه.

وأرادت أن تسأله: لماذا طلب الخنفساء، وما فائدة نقطة الشهد؟ ولكنه قاطع كلامها، قائلا:

" لا تضيعي دقيقة أخري فيما لا فائدة منه الآن، بل ارجعي – يا عزيزتي- وأحضري ما طلبت، فليس لدينا فسحة من الوقت نقضيها فيما لا طائل تحته. وحسبي أنني سأقضي يوما أخر، أعاني فيه ما أعانيه من حرارة الشمس الملتهبة دون طعام أو ماء.

عودي مسرعة إلي بيتك،وأنجزي ما رغبت إليك فيه، وستعلمين فائدة ذلك بعد حين."

٦- عودة الزوجة

فأدركت الزوجة حرج المأزق الذي يعانيه زوجها. ولم تضيع شيئا من وقتها، بل عادت مسرعة إلي بيتها.

أما الوزير "سيلت" فقد بقي في مكانه ينتظر عودتها بفارغ الصبر. وقد تنازعه الشك والرجاء في نجاح خطته. وهو علي ثقة أن أيسر خطا يقع، كاف لإخفاق خطتهما، وإحباط مسعاهما، وربما عرض أحدهما، أو كليهما، للهلاك.

الفصل الثالث

١- في سفح البرج

عادت زوجة الوزير- قبيل الفجر- إلي سفح البرج. وما إن سمع الوزير نداءها الخافت، وصوتها الحنون، حتى أجاب نداءها من قمة البرج. ولم يستطع الوزير - لضيق الوقت- آن يفصل لها خطته كاملة، فاكتفي بتلقينها إياها مجزاة، حتى لا يفاجئهما ضوء الصباح.

٢- أنف الخنفساءة

وكان أول ما قاله لها:

" أربطي ألخنفساء بطرف الخيط الحريري الدقيق، ألعنكبوتي النسج، ثم أدهني أنف الخنفساءة بالعسل."

فلما أتمت ذلك،قال لها الوزير:

" ضعي الخنفساء علي حائط البرج، واجعلي رأسها إلي أعلي. وستشم الخنفساء العسل - دون أن تعلم أنه لاصق بأنفها - فتحسب أن في أعلي الحائط خلية نحل، فتواصل صعودها طمعا في الوصول إلي موطن العسل، ولا تزال جادة في صعودها حتى تبلغ قمة البرج."

٣- علي حائط البرج

ففعلت زوجة الوزير ما أمرها به. وتحقق طن "سيلا"، فسارت الخنفساء صاعدة علي حائط البرج، فقال لها:

"أرجو أن تمدي لها الخيط، وتترفق في ذلك، حتى يسلس " يسهل وينقاد " لها. فإني أخشي أن يثقل عليها حمله، فيعوقها " يمنعها" عن مواصلة الصعود. ولا تنسي أن تمسكي الطرف الأخر من الخيط حتي لا تتعرض خطتنا لإخفاق "للخيبة"، فيضيع أملنا في الخلاص."

٤- في قمة البرج

ومازالت الخنفساء صاعدة حتى بلغت ذروة البرج. ولم تكد تصل إليها حتى لمع في السماء أول شعاع من أشعة الشمس، وبدت تباشير الصباح.

ولا تسل عن فرح الوزير "سيلا" بوصول الخنفساءة إلي قمة البرج، وابتهاجه بذلك النجاح.

علي أنه لم يضع شيئا من وقته عبثا. فالتقط الخنفساءة بيده، ثم قال لامرأته:

" أسرعي الآن –يا صاحبتي- فاربطي طرف الخيط القطني بالخيط الحريري."

فلما ربطته جذب الوزير الخيط الحريري –في رفق- حتي أمسك بطرف الخيط القطني

فقال "سيلا":

"الآن فاربطي الخيط الغليظ بطرف الخيط القطني"

فلما تم له ما أراد، جذب إليه الخيط القطني، حتى أمسك بالخيط الغليظ.

وأدركت زوجته ما يعنيه زوجها، فربطت الحبل في أخر الخيط الغليظ، دون أن يأمرها بذلك. فجذبه:سيلا" بسرعة، حتى إذا أمسك بطرف الحبل المتين، تهلل وجهه بشرا وحبوراً بعد أن ظفر بوسيلة النجاة، وأصبحت في قبضة يده. علي أن فرحه لم يبدل من هدوئه وثباته، ورزانته وبصره بالعواقب. فربط الحبل بقمة البرج، ثم هز الحبل بقوة، ليتعرف مقدار صلابته. ورمي ثقله عليه–مرة أخري- حتى إذا وثق بإحكامه ومتانة فتله، واستوثق من قدرته علي حمله دون أن يفك رباطه، آو تحل عقدته، واستوثق من قدرته علي حمله دون أن يفك رباطه، أو تحل عقدته، أمسك بالحبل – هابطا عليه- حتى لمست قدماه الأرض، واسترد حريته الأولي.

واستولت البهجة والدهشة علي زوجته، فامتزجت في صوتها رنات الفرح بأنات البكاء، وأقبلت عليه تعانقه– وهي ضاحكة باكية– من شدة السرور. وأسرع الزوجان غلي مغارة قريبة في الجبل، ليقضيا فيها نهارهما، حتى إذا اقبل الليل، هربا إلي بل أخر، حيث يستأنفان حياة وادعة.

خاتمة القصة

١- حلم السلطان

أما السلطان الحائر فقد حدث له مالا يخطر ببالك- أيها الصديق العزيز- فقد استولت عليه الهموم والأحزان، وأسف لتسرعه في الانتقام من وزيره السجين. وأدرك أنه سيعجز عن سياسة مملكته، ومغالبة أعدائه المحيطين به، بعد أن فقد وزيره المجرب الذكي. فندم علي ما فعل، ولم ينم طول ليله. فلما لاح نور الفجر، أخذته سنة من النوم "نومه خفيفة"، فرأي -في منامه- خنفساءة صغيرة صاعدة إلي أعلي الحائط، وهي ملفوفة في خيوط وحبال طويلة من الحرير والقطن، وما زالت صاعدة حجتي اقتربت من اعلي الحائط. ثم نفضت الخنفساءة علي الحائط ما تحمله من الخيوط والحبال، فتألفت منها جملة بديعة الخط، رائعة المهني. فقرأها فإذا هي:

" العدل أساس الملك".

ونظر أمامه. فرأي الوزير السجين جالسا علي عرشه.

٢- في برج الهلاك

فاستيقظ الملك خائفا، ونادي حراسه مذعورا، وأمرهم أن يفتحوا له البرج. وما كاد بابه يفتح حتى أسرع السلطان إلي قمة البرج، فرأي -في طريقه- الخنفساءة التي أبصرها في منامه. فارتاع وارتبك، ثم بحث عن الوزير السجين، فلم يجده.

٣- مصرع الطاغية

ولاحت منه التفاته، فرأي حبلا مربوطا في قمة البرج، متدليا إلي أسفل، فأسرع إلي شرفة البرج ليري جلية الخبر- دون أن يتبصر في أمره- فزلقت قدمه، وهو جسمه محطما - من أعلي البرج - إلي قاعدته.

٤- أفراح الشعب

وبعد قليل ذاع الخبر في أنحاء البلاد كلها، وسري في الناس سريان البرق، وعرفوا كل ما حدث. فهتفوا بالوزير "سيلا" سلطانا عليهم. واجتمع أعيان البلاد وكبرا}ها لتنفيذ مشيئة الشعب مسرورين بخلاصة من ذلك العهد المشئوم. وبعثوا رسلهم يبحثون عنه في أرجاء المدينة، لم يعثروا له علي أثر، وعادوا إليهم –في المساء– خائبين.

٥- السلطان الجديد

أما الوزير "سيلا" فقد انتظر حتى مد الظلام رواقه، فخرج مع زوجته– من الغار– ليهربا إلي بلدا أمن يعيشان فيه فرأيا فرح الناس، وسمعا نداءهم الجديد؛ فدهشا. وسألت الزوجة أحد الناس عن جلية الأمر، فحسبها غريبة عن المدينة، وقص عليها كل ما حدث.

فأسرع "سيلا" إلي قصر السلطان. ولم يكد أعيان الدولة وسراتها يبصرونه.حتى أقبلوا عليه يهنئونه فرحين.

وأصبح الوزير السجين –منذ ذلك اليوم– سلطان البلاد.

مكتبة الكيلاني

مجموعاتها: تساير التلميذ في نحو مائة وخمسين قصة، رائعة الصور، بديعة الخراج، متدرجة به من رياض الأطفال إلي ختام التعليم الثانوي. ثم تسلمه إلي مكتبة الكيلاني للشاب

مادتها: تقوم الخلق، وتربي الذهن |، وتعلم الأدب.

فنها: يشوق القارئ ويمتعه، ويحبب الكتاب إليه.

لغتها: تنمي ملكة التعبير، وتطبع اللسان علي فصيح البيان.

ثورة رشيدة، أجمع علي تأييدها وزراء المعارف وزعماء التعليم وقادة الرأي في الشرق، وكبار المستشرقين وأعلام التربية في الغرب.

أول مكتبة عربية عينت بتنشئة الطفل علي أحدث أسس الجديد في بلاد العروبة، ولم يخل منها بيت عربي.

ترجمت إلي أكثر اللغات الشرقية وبعض اللغات الغربية.

مدرسة حرة، إذا عرفها التلميذ، سعي إليها بلا ترغيب ولا ترهيب كانت أكبر أمنية للإباء، وهي اليوم أشهي غذاء ثقافي لأبناء.

الفهرس

الفصل الأول ٣

الفصل الثاني ٨

الفصل الثالث ١٢